كَـفَـلَ الـثَّـنَـاءُ لَـهُ بِـرَدِّ حَـيَـاتِـهِ
لـمَّـا ٱنْـطَـوَى فَـكَـأَنَّـهُ مَـنْـشُـورُ(١)
وَكَـأَنَّـمَـا عِـيـسَـى ٱبْـنُ مَـرْيَـمَ ذِكْـرُهُ
وكـأنَّ عـازَرَ شَـخْـصُـهُ الْـمَـقْـبُـورُ(٢)

إن العظيم على العظيم صبور

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالاً : [الكامل]

غـاضَـتْ أَنَـامِـلُـهُ وَهُـنَّ بُـحُـورُ
وَخَـبَـتْ مَـكَـايِـدُهُ وَهُـنَّ سَـعِـيـرُ(٣)
يُـبْـكَـى عَـلَـيْـهِ وَمَـا اسْـتَـقَـرَّ قَـرَارُهُ
فِـي الـلَّـحْـدِ حَـتَّـى صَـافَـحَـتْـهُ الْـحُـورُ(٤)
صَـبْـراً بَـنِـي إِسْـحَـاقَ عَـنْـهُ تَـكَـرُّمـاً
إِنَّ الْـعَـظِـيـمَ عَـلَـى الْـعَـظِـيـمِ صَـبُـورُ(٥)
فَـلِـكُـلِّ مَـفْـجُـوعٍ سِـوَاكُـمْ مُـشْـبِـهٌ
وَلِـكُـلِّ مَـفْـقُـودٍ سِـوَاهُ نَـظِـيـرُ(٦)

= والسؤدد. لقد حوى الكفن الصفوة من البشر، وقوام ذلك كرم وفصاحة وتقى وورع وشجاعة ورجاحة عقل ونبل ومجد.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٤. النشر: البعث. لقد كان مواطنو المرثي حافظي الجميل، يكيلون له الثناء والدعاء ليتقبّله اللّه تعالى في جنان الخلد، فكان ذلك بمثابة بعث جديد له، فيبقى ذكره خالداً في الحياة الدنيا بفضل حسناته وجليل أعماله.

(٢) إنها حالة مشابهة لما فعله سيدنا عيسى عليه السلام من إحياء عازر وكذلك فقد أحيا هذا الميت عمله في الدنيا، فكان الذكر الحسن.

(٣) غاضت: غارت. خبت: خمدت. السعير: اللهب. بموت المرثي تبدّلت أحوال الناس، فقد انقطع المدد وكان كريماً يُنفق بغير حساب فيعم عطاؤه أحباءه ومواطنيه، فكان ذلك ضربة موجعة لهؤلاء كما كان موته لراحة أعدائه. فقد كان يكيد لهم ويقتل فيهم.

(٤) الحشد في بُكاء وحالما أُنزل في مستودعه حتى تلقته الحور العين بالترحاب تكرمة له من ربّه، لذا فمن الواجب ألّا يبكيه الباكون.

(٥) و (٦) يصبّر الشاعر آل الميّت أن يلتزموا بالصبر ويلوذوا به، فمن تكريم العظيم أن =

أَيَّـامَ قَـائِـمُ سَـيْـفِـهِ فـي كَـفِّـهِ الْـ
ـيُـمْـنَـى وَبَـاعُ الـمَـوْتِ عَـنْـهُ قَـصِـيـرُ(١)
وَلَـطَـالَـمَـا أَنْـهَـمَـلَـتْ بـمـاءِ أَحْـمَـرِ
فـي شَـفْـرَتَـيْـهِ جَـمَـاجِـمٌ وَنُـحُـورُ(٢)
فـأُعِـيـذُ إِخْـوَتَـهُ بِـرَبِّ مُـحَـمَّـدٍ
أَنْ يَـحْـزَنُـوا وَمُـحَـمَّـدٌ مَـسْـرُورُ(٣)
أَوْ يَـرْغَـبُـوا بِـقُـصُـورِهِـمْ عَـنْ حُـفْـرَةٍ
حَـيَّـاهُ فِـيـهَـا مُـنْـكَـرٌ وَنَـكِـيـرُ(٤)
نَـفَـرٌ إِذا غَـابَـتْ غُـمُـودُ سُـيُـوفِـهِـمْ
عَـنْـهـا فـآجَـالُ الْـعِـبَـادِ حُـضُـورُ(٥)
وَإِذَا لَـقُـوا جَـيْـشـاً تَـيَـقَّـنَ أَنَّـهُ
مِـنْ بَـطْـنِ طَـيْـرِ تَـنُـوفَـةٍ مَـحْـشُـورُ(٦)

= يكون الصبر بقدر العظيم عظيماً، ويمدح الشاعر هؤلاء بأنهم من العظماء في مُصابهم لا شبيه لهم وكذلك فلا شبيه للفقيد.

(١) و (٢) يُذكّر الشاعر آل المتوفى يوم كان فقيدهم يُقاتل أعداءه ويبطش بهم أثناء ذلك كان الموت غافلاً عنه ولم ينله أذًى، أما وقد حان أجله فعليهم أن يقبلوا بقضاء اللّه عزّ وجلّ، فلا مردّ لقضائه. وكثيراً ما فتك بأعدائه وسالت دماؤهم على حدي سيفه فإذا بجماجمهم تتطاير من بين أكتافهم ودماؤهم تبلّل سيفه.

(٣) و (٤) أعيذ: أعتصم. يطلب الشاعر من إخوة محمد ألّا يحزنوا لموته فقد أكرمه اللّه تعالى بالسرور والرضوان وجنات النعيم: إنها أفضل من قصورهم وإن كانت موئل راحة ونعيم، فالكرامة التي حصل عليها لا تعدلها كلّ القصور إنها رضوان اللّه فقد تلقّاه الملكان منكر ونكير المولجان باستقبال الموتى من المسلمين بالترحاب وإيذاناً بدخول جنّة الرضوان.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٤. يمدح الشاعر آل المتوفى إنهم من الرهط الأبطال الذين إذا استلّوا سيوفهم من أغمادها آذنت بموت أعدائهم لشجاعتهم وقوّة بطشهم وحانت آجالهم.

(٦) التنوفة: المفازة. ولشدّة فتك القوم أنهم إذا التقوا جيشاً من الأعداء في مفازة تيقّن هؤلاء أن مصيرهم مشؤوم وسوف تتناوشهم جوارح الطير، ويوم البعث سيحشرون من بطون تلك الطيور.

لَـمْ تُـثْـنَ فـي طَـلَـبٍ أَعِـنَّـةُ خَـيْـلِـهِـمْ
إِلَّا وَعُـمْـرُ طَـرِيـدِهَـا مَـبْـتُـورُ[١]
يَـمَّـمْـتُ شَـاسِـعَ دَارِهِـمْ عَـنْ نِـيَّـةٍ
إِنَّ الـمُـحِـبَّ عَـلَـى الْـبِـعَـادِ يَـزُورُ[٢]
وَقَـنِـعْـتُ بـالـلَّـقْـيَـا وَأَوَّلِ نَـظْـرَةٍ
إِنَّ الْـقَـلِـيـلَ مِـنَ الْـحَـبِـيـبِ كَـثِـيـرُ[٣]

حنين دائم وزفير

وسألوه أن ينفي الشماتة عنهم؛ فقال:

[الكامل]

أَلِآلِ إِبْـرَاهِـيـمَ بَـعْـدَ مُـحَـمَّـدٍ
إِلَّا حَـنِـيـنٌ دَائِـمٌ وَزَفِـيـرُ[٤]
مَـا شَـكَّ خَـابِـرُ أَمْـرِهِـمْ مِـنْ بَـعْـدِهِ
أَنَّ الْـعَـزَاءَ عَـلَـيْـهِـمِ مَـحْـظُـورُ[٥]
تُـدْمِـي خُـدُودَهُـمُ الـدُّمُـوعُ وَتَـنْـقَـضِـي
سَـاعَـاتُ لَـيْـلِـهِـمِ وَهُـنَّ دُهُـورُ[٦]

---

(١) الأعنَّة، الواحد عنان: سير اللجام. المبتور: المقطوع. وما يدلّ على قوّة القوم أنهم إذا لوَوْا أعنة خيولهم وهم يقصدون عدوًّا ويلاحقونه، فلا ريب أنهم سيبترون أصولهم وينقطع بهم الأجل.

(٢) يمّمت: توجّهت. الشاسع: البعيد. النيّة: المقصد. يذكر الشاعر أنه توجّه إلى ديار القوم رغم بعد الشقّة بين دياره وديارهم، وما يربطه بهم حبّ وودّ، وهذا أكبر داعٍ يربط الأصدقاء بعضهم ببعض.

(٣) ولقد كان اللقاء سريعاً وموجزاً؛ إنها نظرة أولى عابرة وهذا يكفي رغم قِلّته، فله دلالة عظيمة.

(٤) الزفير: إخراج النفس من جوف ابن آدم تعبيراً عن ألمه وحزنه. يقول الشاعر إن ألم وحزن آل إبراهيم ينمُّ عن شوق عظيم يستمرّ مع كل نفس يحمل في طيّاته عذاباً وأحزاناً يصعب احتمالها.

(٥) و (٦) الخابر: المطّلع على أحوال الناس وأمورهم. محظور: ممنوع. العزاء: =